

تفسير البحر المحيط

@ 302 لولا هداية □ تعالى وتوفيقه ، وقال أبو البقاء : و الواو للحال ويجوز أن تكون مستأنفة انتهى ، والثاني : أظهر . وقرأ ابن عامر { مَا كُنَّا } بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل الشام وهي على هذا جملة موضحة للأولى ومن أجاز فيها الحال مع الواو ينبغي أن يجيزها دونها ، والذي تقتضيه أصول العربية أن جواب { لَوَّلاَ } محذوف لدلالة ما قبله عليه أي { لَوَّلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } ما كنا لنهتدي أو لضللنا لأن { لَوَّلاَ } للتعليق فهي في ذلك كأدوات الشرط على أن بعض الناس خرج قوله لولا أن رأى برهان ربه على أنه جواب تقدم وهو قوله { وَهَمَّ بِرَهَا } وسيأتي ذلك إن شاء □ تعالى ، وهذا على مذهب جمهور البصريين في منع تقديم جواب الشرط . .

{ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } أي بالموعود الذي وعدنا في الدنيا قضاوا بأن ذلك حق قضاء مشاهدة بالحس وكانوا في الدنيا يقضون بذلك بالاستدلال ، وقال الكرمانى : وقع الموعود به على ما سبق به الوعد ، وقال الزمخشري فكان لنا لطفاً وتنبهاً على الاهتداء فاهتدينا يقولون : ذلك سروراً واغتباطاً بما نالوا وتلذذوا بالتكلم به لا تقرباً وتعبداً كما ترى من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن يقوله للفرح لا للقرية . { وَنُودُوا أَنْ تَتَلَكُمُ الْجِنَّةُ } أُوْرَثْتُمْ وَهَآ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } يحتمل أن يكون النداء من □ وهو أسر لقلوبهم وأرفع لقدرهم ويحتمل أن يكون من الملائكة وأن يحتمل أن تكون المخففة من الثقيلة أي { وَنُودُوا } بأنه { تَتَلَكُمُ الْجِنَّةُ } واسمها ضمير الشأن يحذف إذا خففت ويحتمل أن تكون { ءانِ } مفسرة لوجود شرطها وهما أن يكون قبلها جملة في معنى القول وبعدها جملة وكأنه قيل : { تَتَلَكُمُ الْجِنَّةُ } . قال ابن عطية { تَتَلَكُمُ } إشارة إلى غائبة فإما لأنهم كانوا وعدوا بها في الدنيا فالإشارة إلى تلك أي { تَتَلَكُمُ } هذه { الْجِنَّةُ } وحذفت هذه وإما قبل أن يدخلوها وإما بعد الدخول وهم مجتمعون في موضع منها فكل غائب عن منزله انتهى ، وفي كتاب التحرير و { تَتَلَكُمُ } إشارة إلى غائب وإنما قال هنا { تَتَلَكُمُ } لأنهم وعدوا بها في الدنيا فلأجل الوعد جرى الخطاب بكلمة العهد قوله صلى □ عليه وسلم) للصديق في الاستخبار عن عائشة (كيف تيكلم للعهد السابق) انتهى ، { * والجنة } جوّزوا فيها أن تكون خيراً لتلكم { * وأورثتموها } حال كقوله { أَجْمَعِينَ فَتَلَكَ بِيُوتِهِمْ خَاوِيَةً } . قال أبو البقاء : حال من { الْجِنَّةُ } والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة ولا يجوز أن تكون حالاً من تلك للفصل بينهما بالخبر ولكون

المبتدأ لا يعمل في الحال انتهى ، وفي العامل في الحال في مثل هذا زيد قائماً خلاف في النحو وأن يكون نعتاً وبدلاً { * وأورثتموها } الخبر أدغم النحويان وحمزة وهشام الثاء في التاء وأظهرها باقي السبعة ومعنى { الْجَنَّةُ أُورِثْتُمْوهَا } صيرت لكم كالإرث وأبعد من ذهب إلى أن المعنى أورثتموها عن آبائكم لأنها كانت منازلهم لو آمنوا فحرموها بكفرهم وبعده إن ذلك عام في جميع المؤمنين ولم تكن آباؤهم كلهم كفاراً والباء في { بِمَا } للسبب المجازي والأعمال أمانة من الله ودليل على قوة الرجاء ودخول الجنة إنما هو بمجرد رحمة الله والقسم فيها على قدر العمل ولفظ { أُورِثْتُمْوهَا } مشير إلى الأقسام وليس ذلك واجباً على الله تعالى ، وقال الزمخشري : { أُورِثْتُمْوهَا } بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطله انتهى ، وهذا مذهب المعتزلة ، وفي صحيح مسلم لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا : (ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل) . .

{ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدِّمُوا لَنَا مَاءً وَعَدَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَاءً وَعَدَدَ رَبِّكُمْ حَقًّا قَالَُوا } .
عبر بالماضي عن المستقبل لتحقيق وقوعه وهذا النداء فيه توبيخ وتوقيف على مآل الفريقين وزيادة في كرب أهل النار بأن شرفوا عليهم وبخلق إدراك أهل النار لذلك النداء في أسماعهم ، قال